صورة الممدوح في شعر عرقلة الكلبي (حسان بن نُمير بن عجل)

أ.م.د. نجية فايز الحمود

جامعة القدس المفتوحة/ جنين/ فلسطين

The Image of the Praised in Arkala Al-Kalbi's Poetry (Hassan Bin Numair Bin Ijil)

Ass.Prof.Dr. Najeyyeh Fayez Al-Hamood.

Al- Quds Open University\ Jenin\ Palestine

naj_alhmood@yahoo.com

Abstract

This research attempts to draw an image of Mamdouh in Arqalah Al-Kalbi's poetry,one of the overwhelmed poets of the Ayyubid dynasty, who had strong connections with the Ayyubids. They liked gathering and mingling with him, including notably Salah Adin. Then, the poet praised them, glorified their heroism, and elevated their qualities whether they were liberality, generosity or courage. He also urged the Ayyubids to fight the Crusaders. After that, he marked the issue of the religious conflict of that era, which represents their motivation to defend Islam and unite the Islam nation.

It's been noticed that Arqalah's poetry was characterized to be tender, moderate in using artistc improvers as well as be passionate, which was caused by the nature of the age's events.

الملخص

حاول هذا البحث رسم (صورة الممدوح في شعر عرقلة الكلبي) أحد الشعراء المغمورين في العصر الأيوبي، الذي اتصل بالأيوبيين، وقد قويت الصلة بينهم، وكانوا يستلطفون مجلسه، ومنادمته، وفي مقدمتهم السلطان صلاح الدين الأيوبي، فمدحهم الشاعر، ومجَّد بطولاتهم، وأعلى من شأو صفاتهم سواء أكان ذلك جودهم أو كرمهم أو شجاعتهم، وحثهم على مواصلة الجهاد مع أعدائهم الصليبيين، ثم حفل بقضية الصراع الديني في ذاك العصر، الذي تمثَّل في حثهم على الدفاع عن الإسلام، وتوحيد كلمة الأمة الإسلامية. ويُلحظ أن شعر عرقلة اتسم بالرقة، والاعتدال في استعمال المحسنات البديعية، وصدق العاطفة التي فرضتها طبيعة أحداث العصر.

المقدمة

حسان بن نُمير بن عجل، أبو النَّدى الكلبي الدمشقيّ، وعرقلة هو لقب الشاعر. شاعر أيوبي، له ديوان شعر مطبوع، نظم في فنون الشعر المختلفة، من مديح وغزل وهجاء، ولم ينل حظاً من البحث والدراسة كغيره من شعراء العصر الأيوبي. وتناول البحث(صورة الممدوح في شعر عرقلة الكلبي) وقد تضمن البحث المحاور الآتية:

نبذة عن حياة الشاعر ونشأته وثقافته، ثم بيان صورة الممدوح في شعر عرقلة من حيث تمجيد البطولة، وما اتسم به من صفات، ثم حث الممدوحين على مواصلة الجهاد، واستنهاضهم لتحرير البلاد، والصراع الديني في ظل حروب صليبية دامت حوالي قرنين من الزمن في الاستيلاء على بلاد المسلمين. واتبعت في بحثي هذا خطوات المنهج التحليلي الأدبي، الذي يقوم على الاستقصاء والبحث والتحليل لشعر المديح عند الشاعر، ثم رسمِ صورة الممدوح منه.

نبذه عن حياة الشاعر: هو حسان بن نُمير بن عجل، أبو النَّدى الكلبي الدمشقيّ[1]، ويرجع نسبه إلى بني كلب وَبَرَه من الجُلاح، وهي بطن من بني كلب[2]، وقد اشتهر بين الناس بعَرْقَلَة الدمشقيّ "ويُقال له عرقلة من حاضرة دمشق" حتى غلب اللقب على اسمه[3]. ولقب

(1) الصفدي، صلاح الدين خليل بن إيبك: الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، ج11، 1420هـ-2000م، ص281..

(2) الاصفهاني، العماد: خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام، تحقيق د. شكري فيصل، المطبعة الهاشمية بدمشق، ط1، ج1، 1375هـ-1955م، ص178.

(3) الأتابكي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ج5، ص64.

عرقلة الأعور؛ لأنه كان قد فقد إحدى عينيه أثناء رحلته إلى حلب، ومضى الشاعر يتنقل بين الموصل وبغداد، ومن ثم إلى مصر؛ ليتصل في الوزير طلائع بن رزيك إلى أن تطورت الصلة بينهما حتى نظم فيه عرقلة مدائح كثيرة[1].

وهو شاعر عربي أصيل، أحد الشعراء المغمورين في العصر الأيوبي، لم يدخل نسبه عجمة، ولم تتصل به لكنة أو رطانة، عاش شاعرنا في دمشق، وتنقَّل بين أحيائها كحيّ البريد والقميرية وكثيراً ما تردَّدا في شعر الشاعر[2].

وهو ذو أصل بدوي، ينتمي إلى بادية السماوة من بني كلب، الواقعة إلى الشرق من دمشق وحمص وحماة، والممتدة إلى نواحي العراق، وكثيراً ما كان (عرقلة) يتردد إلى دمشق، حتى اشتهر بشعره ولاقى قبولاً واستحساناً من سامعيه، واستحسن عيشة المدينة، فكان ذلك سبباً للإقامة والاستقرار فيها؛ حتى يقرب من سكن الأمراء من آل أيوب، وفي مقدمتهم السلطان صلاح الدين الأيوبي. واختص الشاعر بأمرائهم وسادتهم يجالسهم ويندمهم" قبل أن يملكوا مصر، والملك الناصر صلاح الدين أشغفهم بنكته، وأكلفهم بسماع نُتَفِه" فكثرت فيه مدائحه[3].

وكان صلاح الدين قد وعده أن يعطيه ألف دينار إن ملك مصر، وما أن تمَّ له ذلك حتى مدحه الشاعر بأبيات يذكره فيها بوعده، مُبيِّناً فيها أن خوف الشاعر من أسر الإفرنج يقف حائلاً بينه وبين الممدوح، حيث يقول[4]:

قُلْ للصلاح مُعيني عند إعساري يا ألف مولاي أين الألف دينار

أخشى من الأسْر إن حاولت أرضكم وما تَفي جنة الفردوس بالنار

وقد وفى صلاح الدين له وعده "و أخذ من إخوته مثلها " ففاجأه الموت، ولم ينتفع بها، وتوفي سنة 567هـ[5].

كان شاعرنا كما يصفه صاحب الخريدة "شيخاً خليعاً رَبْعَةً مائلاً إلى القِصَر، أعور مطبوعاً، حلو المنادمة، لطيف النادرة، معاشراً للأمراء"[6]. وقد وُفِّق العماد الأصفهاني في وصفه هذا، فالمطلع على شعر عرقلة، يلحظ الكثير من الصفات التي ذكرها الأصفهاني في شعره، فمنه الشعر الصادق، والمديح للملوك والأمراء الذين اتصل بهم في حياته مضاف إلى ذلك شعره في الغزل والخمر والسخرية والتهكم. وكان لصفات الشاعر أثر كبير في شعره؛ إذ جعل منها موضوعاً للتَندّر والفكاهة، فأحسن التصوير، وأبدع في إدخال السرور على القلوب كما يقول صاحب الخريدة[7].

وكان الشاعر مُدْركاً لهذا النقص والعَيْب في الخَلْق، فكان يتناوله بالسخرية الحزينة المؤلمة، مُتَّخذا من الفقر في ماله وجماله وسيلة لكسب العطف والرزق، ومقتدياً في ذلك بسابقيه من الشعراء الناقمين على الحياة، وعلى أنفسهم كالحطيئة وابن الرومي وغيرهم، دون أن يشعر بحرج من الشكوى التي لا يرى فيها أيّ عيب. وإن اعترف عرقلة بالنَّقص في خَلقه، إلا أنه بقي مُعْتدَّاً بشعره، قارناً نفسه بكبار الشعراء المشهورين، كجرير والمهلهل وغيره، حيث يقول: [8]

فأصخْ لقصد قصيدة ما مثلها لجرير في الزمن القديم وجَرْوَل

لو أنشدت بحمى كليبٍ خالها في الجاهلية من لسان مهلهل

وكانت ولادة الشاعر سنة 486هـ[9]، وتوفي سنة 567هـ[1]، أي عاش الشاعر من أواخر القرن الخامس، والقرن السادس الهجري، وهي فترة استقرار الحكم للأيوبيين في مصر وبلاد الشام وغيرها[2]، وقد تندَّر الشاعر بصفاته الخَلْقية (القصر والعور) اللتين قبحتا منظره، مضمّناً في ذلك المثل الشعبي المشهور "تسمعَ بالمعيديّ خير من أن تراه"[3]، حيث يقول الشاعر:[4]

(1) ضيف، شوقي: عصر الدول والامارات، الشام، دار المعارف، القاهرة، 1990م، ص228.
(2) الكلبي، عرقلة: حسان بن نمير، الديوان، دار صادر، بيروت، ط1، 1992م، ص(ج).
(3) الاصفهاني، العماد: خريدة القصر، ج1، ص178.
(4) الكلبي، عرقلة: حسان بن نمير، الديوان، ص49.
(5) الكتبي، محمد بن شاكر: فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ج1، ص313. وينظر ترجمة الشاعر: الحنبلي،ابن العماد، شذرات الذهب، دار الفكر، ج4، ص220، الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار المعارف للملايين، بيروت، ط14، 1999، ج2، ص177.
(6) الاصفهاني، العماد: خريدة القصر، ج1، ص178.
(7) ينظر: الكلبي، عرقلة، الديوان، (المقدمة)، ص د-ط.
(8) الكلبي، عرقلة، الديوان، (المقدمة)، ص(ج)، ص82.
(9) نفسه: ص(د).

مولاي إن الكلبيَّ عرقلة مثل المُعَيْدي صاحب المَثَلِ

ثقافة الشاعر: تمتَّع عرقلة بملكة شعرية فذّة، يُلحظ ذلك من شعره الذي يكشف عن ثقافةٍ متنوعة، فكان محيطاً بفنون من العلم والأدب؛ منها الدينية والأدبية والتاريخية واللغوية وغيرها. وكان ذا علم غزير، ساعده على ذلك حفظه للقرآن الكريم في سن مبكّر، وتأنّزه به، وتردّده على حلقات العلم والعلماء في دمشق(5).

كان عرقلة مطلعاً على الشعر العربي في مختلف عصوره، يبدو ذلك من خلال تناصّه التاريخي والثقافي مع شعراء مشهورين في مختلف العصور مثل أبي تمام والحطيئة والمتنبي وأبي نواس والسموأل وغيرهم، كما يشير في شعره إلى الرواة المشهورين مثل حماد الراوية، الذي كان أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها، فهو القائل:(6)

فلو كان هذا الشعر قَدِما، رواه في أُمَيَّةَ حمادٌ وغناهُ مَعْبَدُ

ويشير الشاعر أيضا إلى علماء اللغة المشهورين في مدحه لأسد الدين شيركوه، مثل عبد الله بن عباس حِبْر الأمة، والمُبرَّد العالم اللغوي المشهور، ويتخذ منهم رموزًا للتعبير عن فصاحة الممدوح وفطنته،فهو يقول(7):

فصيحٌ إذا قال، ابن عباس عبده ويبردُ من عيٍّ لديه المُبَرِّد

هذا فضلا عن دراية الشاعر ومعرفته بالعلوم الفلكية والأبراج، التي يتخذ منها وسيلة للفخر بشعره في قصيدة يمدح بها الأمير مجاهد الدين بن بُران، وقد مدحه الشاعر في شعر لا مثيل له، حتى تعالى على البروج الفلكية (الشعرى، والجوزاء، والحمل) دون أن ينال حظّه من الممدوح، فهو يقول(8):

شِعْراً تعالى على الشِعرى، وجاز على الجوزاء، وأصبح محمولا على الحَمَلِ

وهذ ما ذهب إليه ابن خلدون من أن الأدب هو معرفة أشعار العرب وأخبارهم، وعلومهم الشرعية، من قرآن وحديث اللذيْن يعدّان المدخل الأساسي لعلمهم، إلا ما كان من المتأخرين "عند كلفهم بصناعة البديع من التورية في أشعارهم، وترسّلهم بالاصطلاحات العلمية، فاحتاج هذا الفن حينئذ إلى معرفة اصطلاحات العلوم؛ ليكون قائماً على فهمها"(9).

صورة الممدوح في شعر عرقلة الكلبي

تمهيد: قرنان من الزمن عاشهما المسلمون في حروب دامية وأوضاع معيشية صعبة، انعكست على حياتهم السياسية والاجتماعية والثقافية. وقد واكب شعر الجهاد هذه الحروب في مراحلها المختلفة منذ خروج الصليبيين من بلاد الإسلام، فوصفوا هذه المعارك، ومجَّدوا بطولة القادة، ليقوّوا من عزيمتهم، وحثهم على مواصلة الجهاد، وتطهير البلاد الإسلامية من رجس الصليبيين، فكان لذلك أثر كبير في هؤلاء القادة، وبثّ الحمية والنخوة في نفوسهم، وتخصيص الجزء الأكبر من أشعارهم؛ لمدحهم وتخليدهم بما حقَّقوه من انتصارات(10).

جاء الشعر انعكاساً واضحاً لطبيعة العصر، سجَّل فيه الشعراء أبرز المعارك التي دارت بين المسلمين والصليبيين من نصر وهزيمة، وسجَّلوا انتصاراتهم؛ ليقتربوا من أصحاب السلطان وكبار الدولة، رغبة منهم في الكسب والعطاء، واتخاذهم من الشعر وسيلة

(1) ينظر: الأتابكي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص64.
(2) الكلبي، عرقلة: الديوان، ص(د).
(3) يعقوب، إميل بديع: موسوعة أمثال العرب، ط1، بيروت، 1995م، ص60.
(4) الكلبي، عرقلة: الديوان، ص86.
(5) ضيف، شوقي: عصر الدول والإمارات –الشام- دار المعارف، القاهرة، ط4، 1990م، ص228.
(6) الكلبي، عرقلة: الديوان، ص30، ومعبد مُغنِّي مشهور في العصر الأموي.
(7) السابق: ص29.
(8) نفسه، ص80.
(9) ابن خلدون، المقدمة، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ب.ت، ص407-408.
(10) الهرفي، محمد بن علي بن أحمد: شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، مؤسسة الرسالة، بيروت ط1400،3- 1980م، ص121.

للحصول على المال[1]، فالمديح كما يقول الرافعي: "في فطرة الإنسان، إنه إحساس بالكبرياء التي هي عمود الإنسانية فيه، فإن الناس متفاضلون في القوة على الأعمال، وهم كذلك متفاضلون في حسِّهم لهذه القوة."[2]

على أن موضوعات الشعر بعامة في هذا العصر كانت امتدادًا للموضوعات الشعرية السابقة عليه، إلا أن طبيعة العصر، وما رافقته من أحداث جسيمة، وحروب دامية، وما أعقبه من حركات الجهاد الإسلامي ضد الغزاة، كان له أثر كبير في الشعر والشعراء، ولا سيما شعر المديح. وبذلك كان هذا الشعر من أهم الأغراض الشعرية، التي تناولها شعراء هذا العصر، وكانت معظم مدائحهم للقادة والأبطال والأمراء وذوي الجاه والسلطان[3].

وتجدر الإشارة إلى أن شعر المديح استمدت معانيه من بيئة العرب ومجتمعهم؛ من جود وعزّة وكرم وشجاعة ...الخ. وعمل الشعراء على ترسيخ هذه القيم الإنسانية في النفوس. ولم يأت المديح في الشعر الجاهلي بقصائد مستقلة، بل من خلال قصيدة تتضمن أغراضا عدة من غزل ومدح ووصف وغيرها. وكان المدح "جماعياً أكثر منه فردياً" ركّز فيه الشعراء على مدح الفضائل الحسنة، والإعلاء من شأن القبيلة، والتغني بمناقبها.[4]

وفي عصر صدر الإسلام حلّت القيم الإسلامية كالعدل، والحث على الجهاد وغيرها، محلّ القيم الجاهلية التي تغنّى بها الشعراء الجاهليون، واتجه الشعراء إلى مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم – كما يطالعنا في ذلك شعر حسان بن ثابت وغيره من شعراء هذا العصر، ومدح قادة الفتوحات الإسلامية، كما عمل الشعراء على تعزيز هذه القيم في شعرهم[5].

وازدهر فن المديح في العصر الأموي، لكثرة الأحزاب السياسية في هذا العصر، من شيعة وخوارج وأمويين، وزبيريين. واتخذ الشعراء من هذا الفن وسيلة للتكسب، فلكلّ حزب شاعره الخاص، يمدحه ويدافع عنه. وشجع الخلفاء الأمويون الشعراء على المديح، وأغدقوا عليهم الأموال الكثيرة[6]، وراج شعر المديح في العصر العباسي، وتنافس الشعراء على مديح الملوك والأمراء، حيث الترف والبذخ في القصور، وكثر التكسّب والعطاء، وبالغ الشعراء في معانيهم المدحية، ولم يعد المديح يصدر عن عاطفة صادقة[7].

ولم يختلف العصر الأندلسي عن غيره من العصور السابقة، فقد تنوّعت الأغراض الشعرية في القصيدة، من غزل وخمر وطبيعة ثم المدح، وأكثر الشعراء من التملّق لممدوحيهم، واختص كل شاعر بأمير أو ملك أو قائد في مدحه[8].

ثم أخذ شعر المديح في الازدياد في عصر الدول والإمارات، ولا سيما في مدينة حلب، التي أصبحت مقصدا للشعراء الذين وردوا إليها؛ ليَتَغنّوا بانتصارات سيف الدولة الحمداني على البيزنطيين وبطولاته، واستيلائه على الحصون والبلدان، ومن هؤلاء الشعراء المتنبي، والدمشقي وغيرهم الكثير.

ومن بعد الحمدانيين كان بنو مرداس في حلب، الذين مدحهم الشعراء، مثل ابن سنان الخفاجي، وابن النحاس الحلبي، وعبد الواحد الربعي وغيرهم. وفي القرن الخامس الهجري استطاع بنو عمار تكوين إمارة لهم في طرابلس فمدحهم الشعراء وأجزلوا لهم العطايا، ومن هؤلاء ابن الخياط الدمشقي الشاعر المشهور. وتبعهم بنو مقلّد "أمراء حصن شيرز" في طرابلس وقد تسلَّموا مقاليد الحكم بعد تحرير علي بن مقلّد بن منقذ لشيرز سنة 474هـ من أيدي الروم. وقد تغنَّى الشعراء بهذا الفتح، وتحدّثوا عن بطولة الفاتح وخلفائه، كما يطالعنا ذلك في شعر ابن منير الطرابلسي، وابن القيسراني. وواصل الشعراء مديحهم لعماد الدين زنكي، وابنه نور الدين مشيدين ببطولاتهم،

(1) سلام، زعلول: الأدب في العصر الأيوبي، دار المعارف، القاهرة، (ب.ت)، ص229، ص232.
(2) الرافعي، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1394هـ-1974م، ج3، ص94.
(3) الهرفي، محمد بن علي بن أحمد: شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، ص71.
(4) محمد، سراج الدين، المديح في الشعر العربي، الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، سلاسل سوفنير، ص:8(نسخة إلكترونية).
(5) نفسه، ص:15.
(6) نفسه، ص:25.
(7) نفسه، ص:39.
(8) نفسه، ص:66.

ودورهم في توحيد البلاد الإسلامية، وفي انتصاراتهم على الصليبيين في فتح الرها سنة 539هـ، وحصن ارتاج سنة 544هـ، وغير ذلك من البلاد الإسلامية التي وقعت تحت الحكم الصليبي(1).

ثم توالت بعدها انتصارات صلاح الدين الأيوبي الذي ذاع صيته في الآفاق في فتح بيت المقدس خاصة سنة 583هـ، وأفاض الشعراء من كل حدب وصوب في مدحه، والتغني في انتصاراته، وبمناقب الممدوح وأعماله، وانتشر ذكره قديماً وحديثاً، ورفع راية الإسلام عاليا في بلاد الإسلام، وحقَّق آمال المسلمين، وقضى على الشرك وأهله، وقد فاق ملاحم التاريخ(2)، ثم مدح الشعراء آل أيوب من بعده، مثل الملك العادل، والمعظم عيسى، ولكل منهم شاعره الخاص الذي يمجّد فيه أعماله وصفاته(3).

موضوعات شعر المديح عند عرقلة الكلبي

تمجيد البطل:

عاش المجتمع الإسلامي خلال الحروب الصليبية حالة من الضعف والانقسام والتشتت الذي ابتليت به الأمة الإسلامية نتيجة ضعف بعض الحكام والأمراء، وصراعهم على المركز والسيادة، في وقت كانت الأمة فيه أحوج ما تكون لبطل منقذ من براثين الصليبيين وطغيانهم. فظهر أبطال عظام وقادة مقدامين سجَّل لهم التاريخ على مر العصور، دورهم في قيادة الأمة نحو المجد والعز ودحر العدو الصليبي من أراضي المسلمين، وفي مقدمتهم الناصر صلاح الدين الأيوبي الذي نال الحظ الأكبر من مدائح عرقلة(4).

ويبقى البحث عن القائد البطل الذي يجمع شمل الأمة، ويلمّ شتاتها شغل الشعراء الشاغل؛ لتجد فيه الصورة المثلى للقائد المسلم، كما ارتسمت في أذهان المسلمين منذ ايام الرسول، ثم في عهد خلافة الراشدين من بعده(5). ومن هنا كان توَجّه الشعراء إلى السلطان صلاح الدين، القائد البطل، لمدحه واستنهاض همّته، وقد اشتدت الحاجة إليه لتحقيق آمال المسلمين في تحرير بلادهم، وها هو شاعرنا عرقلة يمدح صلاح الدين، مستحضرا الرموز الدينية والتاريخية؛ ليربط في ذلك بين ماضي الأمة وحاضرها، وليُعلي من شأن الممدوح وقدره، وقد رسم الشاعر صورة مثالية للبطل الإسلامي، دينية وسياسية واجتماعية وحربية، استقرت في وجدان الأمة وضميرها فهو وارث للمجد عن آبائه، كما ورث أبناء العباس "الخلافة عن عبد المطلب عم النبي– عليه الصلاة والسلام– ونسب إليه خلفاء بني العباس"، وقد تمَيَّز ممدوح الشاعر بصفاته، كما تمَيَّز الورد ذو الرائحة الطيبة في حديقة الأزهار، مؤكداً الشاعر ذلك من خلال استعماله لصيغة القسم، حيث يقول(6):

أقسمتُ ما الوردُ في الأزهار قاطبةً إلا كمثل صلاح الدين في الناسِ

الوارثِ المجد عن آبائه أبداً مثل الخلافة في أولاد عباسِ

ويتكرر أسلوب القسم عند الشاعر في مدحه للسلطان صلاح الدين، وقد غاب عن مصر، ومرّ الشاعر على بيته فوجده مغلقا؛ ليؤكّد قوة الممدوح، وشدة عزمه، فهو يقول(7):

فوالله لولا سرعةٌ مثلُ عزمه لغَرَّقَها طرْفي وأحرَقَها قلبي

وحين" اضطربت الأحوال في مصر، واختلف وزيراها على السلطان، ووفد شاور يطلب النجدة من نور الدين على منافسة ضرغام، بيد أن صلاح الدين تردَّد في الذهاب صحبة عمه، وقد أسهم الشاعر في إقناع مولاه"(8). نظم الشاعر في ذلك أبياتاً مظهراً فيها تلاعبه في المحسنات البديعية، مكثراً فيها من الجناس في مثل قوله : إلامَ / ألامُ، سُعْدى / سعادا، وذلك لإيصال المعنى وقوة

(1) ينظر: ضيف، شوقي، عصر الدول والإمارات، الشام،ص141-146.
(2) ينظر: عبد المهدي، عبد الجليل، بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية(492هـ-648هـ)، دار البشير، عمان، الأردن، ط1، 1409هـ-11989م، ص100-101.
(3) ينظر: ضيف، شوقي، عصر الدول والإمارات، الشام،ص147.
(4) موسى، إبراهيم: شعر الحرب في العصر الأيوبي، دار البيرق العربي للنشر والتوزيع، فلسطين، ط1، 2007م، ص47،46.
(5) إبراهيم، محمود: صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، دار البشير، عمان، ط2، 1408هـ-1988م، ص155.
(6) الكلبي، عرقلة: الديوان، ص53-54.
(7) نفسه، ص14.
(8) باشا، عمر موسى: الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1409هـ-1989، ص256.

التأثير في الممدوح. فقد حبا الله صلاح الدين لملك البلاد وتوحيدها، بعد أن كان أمير حصنٍ تحت إمرة نور الدين زنكي. ويستنهض الشاعر ممدوحه للمضي قدماً نحو مصر، وقد شبهها بالعروس التي تنتظر فارسها (الأسد المصوَّر)، وفي هذا تشبيه بليغ حين جعل من صلاح الدين أسداً بعينه في قوته وشجاعته، ينال من عدوّه، ويعجزهم من النيل به، يقول الشاعر[1]:

إلامَ أُلامُ فيك وكم أعادى وأمرض من جفاك ولن اعادا
لئن أعطاه نور الدين حصناً فإن الله أعطاه البلادا
إلى كم ذا التواني في دمشق وقد جاءتكم مصر تهادى
عروس بعدها أسد مصور يصيد المعتدين ولن يصادا

وقد أشرق ملك مصر بآل أيوب، وقضائهم على الدولة الفاطمية، وإنهاء حكمها، وبحزمهم وعزمهم، وقرع سيوفهم زهت مصر على بغداد، وتناول الشاعر ذلك من خلال استلهامه للرموز الدينية لقصة يوسف وفرعون، وقد فاقت قوة ممدوحه صلاح الدين على من دخلوا مصر وحكموها كعزيز مصر وفرعون وكافور الأخشيدي الذي كان يلقب بالأستاذ والخصيب والي مصر، كما يبدو من قول الشاعر الذي أنشده وهو في دمشق[2]:

أصبح الملكُ بعد آل عليٍّ مُشرقاً بالملوكِ من آل شاذي
وغدا الشرق يحسدُ الغربَ للقوم ومصرٌ تزهو على بغداد
ما حواها إلا بحزم وعزم من صليلِ الفولاذ في الفولاذ
لا كفِرعون مصر والعزيز ومن كان بها كالخصيب والأستاذ[3]

ويصف الشاعر صلاح الدين في البطل المقدام، الذي فاق قومه من آل أيوب بشجاعته وبطولته وقسوته، وإقدامه في ساحات الوغى، وسعيه الدائم للمجد والعلا، كما يسعى المحبون لوصل محبوبيهم، فهو يقول[4]:

لقد فاق الأنام أبا وعمّا كما فاق الأنام أبا وخالا
يُحِبُّ المجدَ والعَلياءَ طبعا كما يهوى المحبُّون الوصالا

وصلاح الدين جواد كريم، استغنى به الشاعر عن غيره من الممدوحين، وقد شبَّه الشاعر الطريق إلى الممدوح بأنها طريق الهداية، والطريق إلى غيره هي طريق الضلال، حيث يقول[5]:

صلاح الدين قد أصلحت حالي فلا عاثت لك الأيام حالا
بك استغنيت عن زيدٍ وعمرو ومن طلب الهدى ترك الضلالا[6]

وقد تحقَّق مجد صلاح الدين بجدِّه وسعيه، وشجاعته في الحروب، لينهض بالأمة الإسلامية، ويلمّ شملها، ويحرِّر أراضيها، ويفك قيدها، من أيدي الغزاة الصليبيين، وهذا من شأنه أن يعلُي من شأن الممدوح، ويرفع من مكانته على الخلق أجمعين، لتفوقه عليهم في الجود والعطاء، وخوضه للحروب، فقد سار بهم من نصر إلى نصر، ومن مجد إلى آخر. ويبالغ الشاعر في وصف ممدوحه وعلو منزلته، التي مهما دنت تظلُّ متلألئة، كالنجوم في علوّها وضيائها، وخصمه مهما تعالى لا يبلغ الحد، فهو يقول[7]:

محلّك في النجوم إذا تدانى وضدّك في التخوم إذا تعالى
وإنك من أشد الناس بأساً بلا شَكٍ وأكرمهم رجالا

(1)الكلبي، عرقلة: الديوان، ص31-32.
(2)نفسه، ص37-38.
(3)نفسه، ص37-38.
(4)نفسه، ص84.
(5)الكلبي، عرقلة: الديوان، ص84.
(6)الكلبي، عرقلة: الديوان، ص84.
(7)نفسه ص84.

ويلجأ الشاعر في البيت – الموجود أعلاه – إلى الموازنة والمقابلة، وصحة المقابلة أن يأتي الشاعر بمعاني يريد التوفيق بين بعضها، والمخالفة في البعض الآخر" فيأتي بالموافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف على الصحة." [1] وقد وُفِّق الشاعر في الإتيان بالمعنى كما أراده، فممدوحه رفيع الشأن والمنزلة، وخصمه تدنو منزلته، يضاف إلى هذا ورود الطباق بين تدانى وتعالى؛ لتأكيد معناه، فالشيء قد يظهر بضدّه أحياناً. وقد اعتبر الرافعي أن الصناعة الأدبية تقتضي من الكاتب أو الشاعر" لطافة الحيلة، حُسْن التأنّي، وتمكين الأسباب " ولا يمكن عدها "إلا من أسباب الارتقاء؛ لأن اللغة لم تقع لأهلها على الكفاية في كل شيء، وإنما سبيلها تحول المادة، وتغير القوة في كل عصر"[2]. لقد " كان طابع المبالغة هو الطابع السائد على شعراء المديح في هذه الفترة"[3] وليس أدلّ على ذلك من قول الشاعر عرقلة يمدح الوزير جمال الدين بالوصل وهو "جمال الدين أبو جعفر محمد بن علي الأصبهاني وزير صاحب الموصل أتابك زنكي توفي سنة 559هـ"[4]، حيث يقول[5]:

محمدٌ خاتم الكرام كما سَمِيُّهُ كان خاتم الرُّسُلِ

وتبدو المبالغة عند الشاعر في تشبيهه لكرم ممدوحه بالنبي محمد –صلى الله عليه وسلم– فالكرم والجود يُخْتَم بالممدوح (محمد) كما النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– خاتم الأنبياء والمرسلين. ومثال ذلك أيضا في شعر عرقلة، قوله في مدح أسد الدين شيركوه:[6]

هو الأسد الذي ما زال حتى بنى مجداً على السبع الطباق

وتبدو المبالغة في البيت السابق حين يجعل من الممدوح في علوّه ورفعته كما السبع السموات الطباق، متأثرا في ذلك بقوله تعالى: "**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ**"[7]

ويلحظ مما تقدم أن الشعراء في هذا العصر قد ساروا على نهج سابقيهم في المعاني المدحية، واتخذوا من شعرهم قدوة يسيرون على نهجهم، دون أن يجدوا حرجاً في ذلك، بل يأتي الشاعر في هذا العصر بمعانيه بحلَّة جديدة ويضيف عليها ما يزيّنه كما اتضح فيما سبق.[8]

وهذا ما أطلق عليه ابن حجة الحموي حسن الإتباع "وهو أن يأتي المتكلم إلى معنى آخر اخترعه الغير، فيحسن اتباعه فيه، بحيث يستحق بوجه من الوجوه الزائدة التي توجب للمتأخرين استحقاق معنى المتقدّم، إما باختصار لفظة، أو قصر وزن، أو عذوبة لفظة، أو تمكين قافية، أو تتميم نقص، أو تحلية من بديع توجب الاستحقاق"[9]. ويرى ابن الأثير أن الاطلاع على معاني السابقين، والربط بينها، وبين المعاني المخترعة، فيه ثراء كبير يشحذ القريحة، وإذكاء الفطنة؛ لأن في ذلك معرفة " لأغراض الناس، ونتائج أفكارهم" ينهل منها ما يشاء. [10]

وتتكرر هذه المعاني المدحية عند الشاعر في مدحه للملك المعظم فخر الدين الشاه، وهو أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي، وقد افتخر به الشاعر على البريّة كلها من حضر وبادية وتشرفت به دمشق. ويعلي الشاعر من شأن ممدوحه، وجوده وكرمه في استلهامه لشخصيات تاريخية عرفت وذاع صيتها بالكرم والعطاء مثل كعب ابن مامة الإيادي، وحاتم الطائي اللذيْن اشتهرا بجودهم وكرمهم بين العرب وإكرامهم للضيف، وأخرى عرفت بشجاعتها كعنترة بن شداد الفارس المقدام وغيره، حيث يقول الشاعر[11]:

(1) ابن جعفر، أبو الفرج قدامة: نقد الشعر، تحقيق عبد المنعم الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ص141.(نسخة إلكترونية).
(2) الرافعي، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب، ج3، ص354.
(3) الهرفي، محمد بن علي بن أحمد: شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، ص75.
(4) الكلبي، عرقلة: الديوان، ص85.
(5) نفسه، ص86.
(6) الكلبي، عرقلة: الديوان، ص69..
(7) سورة الملك: آية (3).
(8) ينظر: باشا، عمر موسى، الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، ص472.
(9) الحموي، ابن حجة: خزانة الأدب، ج2، ص377..
(10) ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص29.
(11)الكلبي، عرقلة: الديوان، ص26-27.

وقَدْ غَدَوت بفخر الدين مفتخراً على البريَّة من حضر ومن بادي
توران شاه بن أيوب الذي شَرُفت به دمشق على مصر وبغداد
من "ابن مامة" والطائي في كرمٍ وشدَّة البأس عمروٌ وشدَّادِ
وهو الذي لم يَزل في كلّ منزلة يسير خلف العُلى بالماء والزاد

وتتكرر هذه الصفات في ممدوحي الشاعر بعامة وفي أكثر من قصيدة، يُلحظ تلك المعاني في مدح الشاعر للملك المعظم فخر الدين توران شاه بن نجم الدين أيوب، وهو أخو صلاح الدين، فالممدوح شديد البأس، قوي العزيمة، صاحب همَّة لا تنثني، وطباع حسنة، اشتهر بها بين الأنام، وهو صاحب السجايا الحميدة، وخُوانه، – وهي الأداة التي يوضع فيها الطعام– مبذول للمحتاجين والمسافرين، وإحسانه لكل راغب، ويداه مبسوطتان، إلا في ساحة الوغى فهو القابض على سيفه الممسك بعنان فرسه التي تهيج في ساحات المعركة لقوتها وعزيمة صاحبها، وشدة بأسه، وتغدو مسرعة بحيث يتناثر الغبار ويتطاير الشرر من تحت أرجلها، ويشبه الشاعر هذه الخيل وهي تثير النقع؛ لشدة سرعتها بالدخان المتصاعد من اشتعال النيران الكثيرة، وله أن يفخر ويتعالى على الأنام بخصاله الحميدة، وقد صار ملك الكرم والبأس والشدة. وجريا على عادات شعراء عصره يتلاعب الشاعر في المصطلحات البديعية، من جناس كما يظهر في قوله: (المعروف / بالمعروف) والطباق كما في (حرب، سلم) والسجع في (فخراً، وعزاً) فهو يقول[1]:

شديد البأس محمود السجايا منيع الجار، مبذول الخُوانِ
هو المعروف بالمعروف حقّاً فتىً لا بالبخيل ولا الجبانِ
يعوّد راحتيه البسط إلا على إمساك سيفٍ أو عنانِ
إذا ما حلَّ حرباً هاج نقعاً كذاك النار تعرف بالدخانِ
فخر الدين زد فخراً وعزاً على الأملاك من قاصٍ ودانِ
"تُوَرنْشاه" بن أيوب بن شاذي ملوك للطَّعام وللطعانِ
ألم تَفُق الورى حرباً وسلماً بسيفك والندى والصولجانِ

وقد بعث صلاح الدين بهدية إلى نور الدين في دمشق، ومعه هدية من الذهب لعرقلة الكلبي، وحمَّل رسوله السلام لأهل دمشق[2]. يصف جود ممدوحه، وقد بالغ في ذلك حين يتناصّ مع قصة يوسف– عليه السلام–؛ ليشبه فرحته بعطاء ممدوحه، كفرحة يعقوب –عليه السلام– حين تلقّى قميص يوسف، وقد صلح حال الشاعر، وانقلبت أحواله ودنياه، بعد هذا العطاء الذي خصَّه به الممدوح، فهو يقول[3]:

صلاح الدين قد أصلحت دنيا شَقيٍّ لم يَبِتْ إلا حريصا
أتى منك السلام لنا عموماً وجودُك جاءني وحدي خُصوصا
فكنتَ كيوسف الصدّيق لمَّا تلقّى منه يعقوب القميصا

ويكثر التناص الديني عند الشاعر مع قصة يوسف وأبيه – عليهما السلام – فيتّخذ من يوسف رمزاً ليُكنّي به عن حسن ممدوحه الأمير معين الدين، ومن أبيه يعقوب رمزاً ليُكنّي به عن شدة حزن أبيه على فقدانه. فالشاعر يربط بين أثر غياب الممدوح عن قومه، وبين غياب يوسف عن يعقوب، فهو يقول[4]:

كأنَّما يوسف في كل راحلةٍ والحيّ في كل بيت فيه يعقوب

(1) نفسه، ص104.
(2) باشا، عمر موسى، الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، ص256.
(3) الكلبي، عرقلة: الديوان، ص57.
(4) نفسه: ص8.

فقصة يوسف تكتظّ بالعظة والعبرة، وتحمل دلالات رمزية متعددة، وتبعث الأمل والتفاؤل، والراحة والطمأنينة في النفوس. حيث مكّن الله ليوسف في الأرض وآتاه حُكْما وعلما، بعد معاناته في السجن[1]. ويختزل الشاعر هذه القصة الطويلة بكلمات محدودة؛ لينقل القارئ إلى عالم واسع الدلالات.

ويصوّر الشاعر الفساد الذي كثر في آل طغتكين، وقد ازدادت السرقة في زمنهم[2]، ويخاطبهم بأن يتوبوا عن ذنوبهم؛ خوفاً من إيقاع أذى السلطان صلاح الدين بهم وزجِّهم في السجن، حيث يقول[3]:

لصوص الشام توبوا من ذنوبٍ تكفِّرها العقوبة والصِّفاد

لئن كان الفساد لكم صلاحاً فمولانا الصلاح لكم فسادُ

ويكثر الشاعر في شعره من التلاعب في المحسنات البديعية –جرياً على عادة شعراء عصره– من تورية وطباق، فقد ورَّى الشاعر في كلمة (صلاح)، فالصلاح الأولى في البيت تشير إلى الإصلاح، وعدم الفساد، وفي الثانية إشارة إلى ممدوح الشاعر صلاح الدين الأيوبي، وتظهر قدرة الشاعر في استعمال هذه المحسنات من خلال قلب المعنى في الشطر الأول من البيت الثاني في الشطر الثاني من البيت نفسه، كما يلجأ إلى تأكيد المعنى من خلال الطباق بين كلمتيّ (الفساد/ صلاحاً)؛ ليكون لكلامه وَقْع وتأثير في النفوس.

فاللجوء إلى الصنعة اللفظية من أبرز مقاييس العصر الأيوبي الأدبية، وقد تغلغلت في أدب هذا العصر ونثره، حتى وصلت إلى لغة المؤلفات[4]. وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى تفوق المشارقة بفن البديع على المغاربة، ويرجع ذلك إلى أن هذا الفن "كمالي في العلوم اللسانية، والصنائع الكمالية، توجد في العمران، والشرق أوفر عمراناً من المغرب"[5].

ويتوعد الشاعر هؤلاء اللصوص في أبيات أخرى، مؤكداً تناصّه من قصة يوسف–عليه السلام –، متّخذا منه وسيلة للتعبير عن شجاعة الممدوح صلاح الدين الأيوبي وشدة حزمه وبأسه، فإن كُنَّ نساء مصر قَطَّعن أيديهن من حُسْن النبي يوسف –عليه السلام– فإن صلاح الدين مَقطّعاً أيدي الرجال الذين يعيثون فساداً. يقول الشاعر مخاطباً صلاح الدين حين كان على دمشق[6]:

رُوَيْدَكُمْ يا لصوص الشّآم فإني لكم ناصح في مقالي

وإياكم من سَميِّ النبي يوسُفَ ربِّ الحِجا والجمال

فذاكَ مُقطّعُ أيدي النساء وهذا مُقَطِّعُ أيدي الرجال

ويشبه الشاعر صلاح الدين بالقمر المنير في ضيائه، وفي المنهل العذب في عطائه، حين مرَّ على داره، فوجدها مغلقة، والممدوح في مصر، حيث يقول[7]:

عبرتُ على دار الصلاح وقد خَلَتْ من القمر الوضَّاحِ والمنهلِ العذبِ

ويضمن الشاعر لبعض آي القران الكريم في مدحه لأبناء أسد الدين شيركوه (ناصر الدين وفتح الدين) ويصفهما بالجود والكرم، وقد فتح الله على الشاعر بهما مُعبِّراً عن ذلك بنقيض هذه الصفات؛ ليكون لكلامه وقع في النفس وقد اتسم الممدوحان بالبهاء، وحسن الطلّة حيث يقول[8]:

لله شبلا أسد خادر ما فيهما جبن ولا شُحُّ

ما أقبلا إلا وقال الورى "قد جاء نصر الله والفتح"

(1) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، القاهرة،ط1، 1417ه/1997م،ج2، ص:35.
(2) باشا، عمر موسى، الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، ص25.
(3) الكلبي، عرقلة: الديوان، ص35.
(4) إبراهيم، محمود: صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، ص198.
(5) ابن خلدون: المقدمة، ص407.
(6) نفسه، ص87.
(7) نفسه، ص14.
(8) نفسه، ص20.

التحريض على مواصلة الجهاد:

الصراع الذي تعيشه الأمة، يفرض على الأديب أن يكون جزءاً من هذا الصراع، يتفاعل معه، يستمد منه أفكاره ومشاعره، ويوثِّق صلتة به؛ ليقوم بواجبه اتجاه أمته،" بحيث يكون أدبه دعامة من دعائم حياتها بكل ما فيها من ألم وشقاء وسعادة". يؤكد ذلك مسيرة الأدب عبر العصور، ومواكبته لأحداث العصر وظروفه منذ العصر الجاهلي، حتى عصرنا هذا، إنْ في السلم أو في الحرب، ظهر شعراء بارزون كافحوا المحتلَّ بشعرهم(1).

ولم يكن شعراء العصر الأيوبي بمختلفين عن غيرهم من الشعراء في بقية العصور، في وصفهم لقوة ممدوحيهم، وشجاعتهم، وثبات عزيمتهم في الحروب(2). فقد حث الشعراء ممدوحيهم على مواصلة الجهاد، وكان انتصارهم في معركة فرصة لتذكيرهم وحثهم، وإثارة الغيرة في نفوسهم، واستنهاضهم على تحرير البلاد الأخرى الواقعة تحت الحكم الصليبي(3). وقد ركَّز الشعراء في مديحهم للأبطال على الجهاد ومعانيه؛ من شجاعة وبطولة وتضحية، وعلى " الدين الخالص الذي لا تشوبه شائبة" نستشف ذلك من عنايتهم البالغة في الحديث عن الجهاد في شعرهم، وعن المجاهدين وصفاتهم(4).

ومن هنا جاءت موضوعات شعر المديح متعلقة بطبيعة الموضوع الذي نظمت من أجله، وهو الجهاد في سبيل الله، ونصرة الإسلام والمسلمين، ووصف شجاعة الممدوح وقوته وانتصاره على أعدائه(5).

وكان صلاح الدين في مقدِّمة أبطال الفتوح الذين مَجَّدهم الشعراء في أشعارهم، ونال النصيب الأكبر من مديح الشعراء، ولا سيما في فتح بيت المقدس. فقد كان مُحبّاً للجهاد ويرى أن البلاد لا تفتح إلا به، فهو القائل: "قد أمرنا الله بالجهاد لأعداء الدين، وافترضه علينا، فنحن قائمون في طاعته، بأداء ما افترضه علينا، وهو الذي يقدرنا على فتح البلاد، ولو اجتمع علينا أهل الأرض لتوكَّلنا على الله تعالى"(6). ويمدح شاعرنا (عرقلة) صلاح الدين مُبيِّناً غيرته على هذا الدين، ومقاومته للفساد بالقوة والشجاعة، حيث يقول(7):

فتىً للدين لم يَبْرح صلاحاً ولللأموال لم يَبْرح فسادا

هو المعروف بالمعروفِ حقاً جوادٌ لم يَهَبْ إلا الجوادا

ويبرز الشاعر ما أراد من خلال الطباق بين كلمتيّ (صلاحاً / فساداً)، والجناس بين(المعروف / بالمعروف). ويهيب الشاعر بجنود صلاح الدين بأن يهتدوا هَدْيه، ويسيروا تحت لوائه مقتدين بحكمته ورشده، وقد شبهه الشاعر بالإمام الذي يَؤم في المصلّين في صلاتهم، وصلاة الجماعة ليست كصلاة الفرد وحده، حيث يقول(8):

ألا يا معشر الأجناد سيروا وراء لوائِه تَلْقَوا رشادا

وما كلُّ إمرىءٍ صلى مع الناس مأموناً كَمَنْ صلَّى فُرادى

ويتناول الشاعر في مديحه شخصيات إسلامية قيادية أدت دورها في الجهاد الإسلامي؛ لرفع عزائم ممدوحه، وحثه على الجهاد، فهو يقول(9):

مثلُ فتوح الفاروق نائلُهُ شرقاً وغرباً في السهلِ والجَبَلِ

(1) ضيف، شوقي: في الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1962م، ص194.
(2) الهرفي، محمد بن علي: شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، ص139.
(3) نفسه: ص145.
(4) نفسه: ص153.
(5) نفسه: ص169.
(6) أبو شامة، المقدسي: كتاب الروضتين، دار الجيل، بيروت، ج2، ص129.
(7) الكلبي، عرقلة: الديوان، ص31.
(8) الكلبي، عرقلة: الديوان، ص32.
(9) نفسه، ص86.

فالشاعر يربط بين الوزير جمال الدين الأصبهاني صاحب الموصل، وبين الفاروق عمر بن الخطاب في شجاعته وإقدامه وانتصاراته، وامتداد ملكه.

ويُمجِّد الشاعر (عرقلة) ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه، ونصرته للدين، فهو حام لدين الله، وصاحب عزم لا ينثني، وحسامه المشرفيّ الذي لا يعرف الهزيمة خير شاهد على ذلك. ويشبهه الشاعر بالغيث في عطائه وبالليث في شجاعته وسطوه، كما يشبهه الشاعر بملوك حمير تتقيّل من قِبَلِه، فهو بذلك الرئيس والقائد للأمة، إذا غاب قائدهم، يمضي بهم إلى المعارك، ويحقق لهم النصر تلو الآخر لتبقى نار الحرب متَّقده مع عدوه، هذا فضلا عن نار القِرى الدائمة الاشتعال. وفي ذلك كناية عن كرم الممدوح، وإكرام الضيف. وهو بذلك يجمع بين الجود في السلم، والطعن في الحرب، ويتحقّق مجد الشاعر في زمن اضطهد فيه الأدباء، فهو يقول[1]:

لناصر دين الله، نصرٌ على العدى وعَزْمٌ حكاهُ المشرفيُّ المهنَّدُ
وملكٌ له بحران، عِلم ونائلٌ يفيض بذا صدرٌ، وتهمي بذا يدُ
ونار للحرب العوان وللقِرى غَدَتْ كلُّ نارٍ منهما تتوقَّدُ
غيوثٌ إذا جادوا ليوثٌ إذا سطوا لهم نائلُ جمٌّ ومجدٌ مُشَيَّدُ
أناصرَ دين الله، لا زلت ناصري على زمنٍ فيه الأديبُ مُطَّهَدُ

ويرى قدامة بن جعفر أن مدح القائد يكون في شدة بطشه وبسالته، وإنْ صاحب ذلك مدحه في" الجود والسماحة والتخرق في البذل والعطيّة كان المديح حسناً، والنعت تاماً"[2].

كانت الدعوة إلى الجهاد هي الهدف الأساسي لشعراء هذا العصر، في مديحهم، فهي الصفات التي تُقال في كل بطل وقائد؛ من حكمة وحسن قيادة "ولذا كان التشابه في شعر المديح أمرا لا بدّ منه، ولم يكن نتيجة تكرار أو تقليد ومتابعة".[3] وهذا شاعرنا عرقلة يمدح الأمير سيف الدين بن مجاهد، بمعانٍ مدحية قريبة من السابقة، فقد بات الشاعر آمناً مطمئناً لا يخشى صروف الدهر ونوائبه، وسيف الممدوح مسلول، وشغله الشاغل هو مجد الأمة وراحتها. فلا يشغله اللهو والشراب، ولا حتى الفتيات الحسان. يسعى جاهداً بقوته وعزمه؛ لتحقيق هذا المجد فهو يقول[4]:

فكيف أخشى صروف الدهر إن وثبت وسيف مولاي سيف الدين مسلولُ
مَلْكٌ عن المجد ليس يشغَلُهُ كأسُ دهاقٍ ولا حسناء عُطبولُ

وأما ممدوح الشاعر مجير الدين أبق الذي تولَّى دمشق قبل نور الدين، فقد نال حظّاً أكبر، وجمع صفات الممدوحين السابقين، وذاع صيته بالآفاق حتى علت مناقبه فوق النجوم، بعد هزيمته للإفرنج شر هزيمة، وتشرّفت المنابر برفع اسمه عاليا فوقها، وزادت فخرا بمناقبه الحميدة، ولا أدلّ على ذلك من قول الشاعر[5]:

ملك تشرفت المنابر باسمه وَعَلَتْ مناقبُهُ فُويْقَ الفَرْقَدِ
وعلى الأسِرّة من أسِرَّةِ وجهه شمسٌ تَجَلَّت من بروج الأسعد
ما نشرت راياتُهُ يوم الوغى إلا انطوى جيش العدو المعتدي

(1) الكلبي، عرقلة: الديوان، ص29.
(2) ينظر: ابن جعفر، أبو الفرج قدامة، نقد الشعر، ص109.
(3) الهرفي، محمد بن علي: شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، ص169.
(4) الكلبي، عرقلة: الديوان، ص77.
(5) الكلبي، عرقلة: الديوان، ص26.

وتشهد معارك الممدوح له في الإقدام والشجاعة، وبذل النفس، والغالي والرخيص لنصرة دينه وأمته، كما يشهد له حصانه الذي يحمله في ساحات الوغى. ويجمع ممدوح الشاعر بين الشجاعة والحماسة، وبين الفضائل الحسنة التي اشتهر بها، من جود وإحسان لا ينقطع، وبجميل معروفه الذي فيه صلاح هذه الأمة وحالها، يقول عرقلة[1]:

ملك يجود بماله وبنفسه وبذاك يشهَد حِصْنُهُ وحصانُهُ
فاق الأنام جمالُهُ وجميلُهُ لا حُسْنُهُ يفنى ولا إحسانُهُ
بالصالح الملكِ الأغرِّ صلاحُهُ لا فارقت أوطارَه أوطانُهُ

وأما ممدوح الشاعر حسام الدين صاحب مردين فقد ازدانت السماء بمجده ومدحه الشعراء قاطبة، فهو البطل المقدام في ساحات الوغى وقد تفوَّق على غيره بمناقبه الحسنة، وصفاته القيادية والعسكرية، وعلوِّ مجده فالشعراء يتسابقون إلى مدحه، ويبالغ الشاعر في مدحه حين يضفي صفة الجمال على الشعر الذي تزيَّن باسم ممدوحه، فهو ينقضّ على أعدائه فيتنفسوا الصعداء، ليصعد هو إلى طريق المجد والعُلا. والممدوح فضلاً عن ذلك كريم معطاء يقصده الأنام من كلّ حدب وصوب أفواجاً وغارات، مشبهاً قدومهم على الممدوح بغارات العدو التي يبثها في ديار المسلمين، دون أن يرد قادماً أو راغباً في العطاء. حتى ذاع صيته وعلا كحاتم الطائي الذي اشتهر عند العرب بكرمه وعطائه، وحاز الممدوح بذلك الشرف والرفعة والعزّة بين الملوك، بل أنَّ مجده وشرفه فاق برج الجوزاء علوَّاً، وإقدامه في ساحات الوغى فاق بطولات فرسان حرب داحس والغبراء، وهو بذلك بطل فريد، لم يلده زمان ولا مكان من قبل، ولم تشهد ساحات الوغى فارساً مقداماً مثله، يقول الشاعر[2]:

ملكٌ تزيَّنت السماء بمجده وتَجَمَّلت بمديحه الشعراءُ
يحيى ويقتل اللهاذم واللُّهى فكأنَّه السرَّاء والضرَّاء
ما زال يرقى في المعالي صاعداً وعدوُّهُ أنفاسُهُ صُعَداءُ
مَنْ حاتمُ الطائيُّ عند سماحه هذا الندى، لا إبِلُهُ والشاءُ
للمعتفين على خزائن ماله في كل يوم غارة شعواءُ
أحسامَ دين الله الملك الذي شرفت به الألقاب والأسماءُ
جابَتْ إليك بَنو الرجا جوز الفلا مُذْ شِدْتَ مجداً دونه الجوزاءُ

وقد حاول شعراء المدح ربط حاضرهم بماضيهم، من خلال استلهامهم لشخصيات إسلامية، من القصص القرآني وغيره، ويكرر الشاعر تناصه من قصة يوسف بن يعقوب وقد ملكوا مصر قديماً، ليملكها في عصره الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، الذي يهيم على الأعداء ضرباً، مستعملاً في ذلك صيغة المبالغة (ضرَّاب)؛ ليدلّ على قوة الممدوح، وقد قطَّع رؤوسهم وأعناقهم من شدة الضرب، فهو يقول في مدح "أسد الدين شيركوه حين سار إلى مصر ومعه صلاح الدين عام 562هـ"، لمواجهة الأتراك وقد أزمعوا على مصر للحرب، يستنهض الممدوح، ويحثه على الجهاد، والاستيلاء، على مصر[3]:

أقولُ والأتراك قد أزمعت مصرَ إلى حرب الأعاريبِ
ربِّ كما ملَّكتَها يوسُفَ الصديق من أولاد يعقوب
يملِّكُها في عصرنا يوسُف الصادق من أولاد أيوبِ
مَنْ لم يَزَلْ ضرَّابَ هام العِدا حقّاً وضرَّاب العراقيبِ

(1) الكلبي، عرقلة: الديوان، ص102.
(2) نفسه، ص3-4.
(3) الكلبي، عرقلة: الديوان، ص13.

ويشهد التاريخ للأيوبيين دورهم البطولي في الدفاع عن بلاد الاسلام، وخوضهم المعارك، وتسجيلهم للانتصارات المتكررة مع أعدائهم الصليبيين، يصور الشاعر ذلك في مدحه للملك المعظَّم أخو صلاح الدين، حيث يقول[1]:

من معشرٍ لم تزل نيران حربهم مشبوبةً ذات إبراق وإرعاد

ويمدح الشاعر (عرقلة) الأمير معين الدين الطغتكيني، وكان يشغل مقدّماً للجيش في دمشق، ومدبّراً للدولة، مصوراً شجاعة الممدوح وحاشيته، واستعدادهم الدائم للجهاد، والإقبال عليه راغبين غير كارهين، وغير زاهدين في طلبه، رغم زهدهم في غيره، ويشبه فرسانه بالأسود في شجاعتها وقوتها، وهجومها على الأعداء.

ويهيب الشاعر بهذه الجيوش التي اعتادت على النزال في الحرب، رافعاً من شأنها، مُحرِّضاً لها، مستنهضاً همّتها على مداهمة الإفرنج في بلاد الشام، والقضاء عليهم، وكسر صليبهم، أمام رماح أبطال يواصلون جهادهم وسيوفهم تلمع وَضّاءة كالنجوم، وسط نَقْع الوغى المظلم من شدتها، يقول الشاعر[2]:

حشيِّتُهُ سرج على ظهر سابح وحلَّتهُ دِرْعٌ على غير هاربِ
غدا في المعالي راغباً غير زاهد وفيما سواها زاهداً غير راغبِ
يظنُّ صلاح الدين فرسان جلَّقٍ كفرسان، ما الأسد مثل الثعالبِ
غدا تطلع الشام الفرنج بفيْلق مُقَوَّدةٍ أبطالُهُ للمصائب
رجالٌ إذا قام الصليب تصلَّبت رماحهم في كل ماشٍ وراكبِ
لها الليل نقع، والأسنَّة أنْجمُ فما غيرُ أبطالٍ وغيرُ جائبِ

وإثارة مشاعر الممدوح، والاستنجاد به، وحثه على الوقوف في وجه أعدائه، يحرك فيه الشعور في النخوة والشهامة، والمساهمة في نيل شرف التحرير، ونصرة الدين[3].

وأوافق عمر موسى باشا رأيه في أن الشعر في هذا العصر يُسجل له الأثر الكبير في النفوس في ظل الصراع المرير مع المحتل الصليبي، والحث على جهادهم واستثارتهم، فهم يعبّرون في شعرهم عن عواطف المسلمين ومشاعرهم اتجاه هذه الأحداث[4].

الصراع الديني:

كثر حديث الشعراء عن الصراع الديني الذي دار بين المسلمين والصليبيين، من خلال وصف أحداث هذا العصر والإشادة في انتصارات المسلمين، وقد وصف الشعراء المعالم الدينية من خلال شعر المديح، فتحدثوا عن تحطيم الصليب، ووصفوا المساجد، والقباب والمنابر... الخ[5]. ولا بدّ للأديب من تمثيل مجتمعه، والالتئام مع هذا المجتمع، وروح العصر ليصبح «عمله باهراً بما يصوّره من أحداث زمنه ومن روحه»، وكلما تعايش الأديب مع حياة أمته، وشاركهم أفراحهم وأحزانهم، واتخذ من ذلك مادة لأدبه، كان تأثيره أكبر في قلوبهم، وتصبو إليه نفوسهم[6]. على أن الذود عن الاسلام وحمايته ورد العدا عن حياضه صفة اشترك فيها جميع ممدوحي الشاعر؛ لما في ذلك من أثر في عصر ضعف فيه المسلمون وتشتتوا من جراء الغزو الصليبي على بلاد المسلمين، فكانت الأمة أحوج ما تكون لأبطال بواسل يقودون هذه المعارك، ويدافعون عن الإسلام والمسلمين، لإعلاء كلمة الإسلام، وتوحيد الأمة الإسلامية والمجاهدين، ويقفون وقفة رجل واحد في وجه عدوهم. لقد كان تفرق المسلمين، والخلاف الداخلي بينهم"وضعف الوازع الديني في نفوس أمرائهم عاملا أساسيا لما حلّ بهم، في بداية هذه الحروب"، بل إنَّ بعضهم كان يتحالف مع الإفرنج على إخوانه المسلمين. [7]

(1) الكلبي، عرقلة: الديوان، ص28.
(2) نفسه، ص6.
(3) بدوي، أحمد أحمد: الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، ط2، (د.ت)، ص416.
(4) باشا، عمرو موسى: الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، ص530.
(5) نفسه: ص476-477.
(6) ضيف، شوقي: في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1962م، ص198-199.
(7) الهرفي، محمد بن علي: شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، ص122.

ولا يخشى الشاعر على الاسلام إذا ما بقي ممدوحه أسد الدين شيركوه وحده، وهلك الجميع من بعده، فالإسلام والمسلمون باقون في أمن وسلام، يدافع الممدوح عن حماهم، يصبر أمام جحافل العدو وخيلهم، وإن لم يصبر حتى على السواقي من قبل. كيف لا وقد وحَّد بلاد الاسلام ولمَّ شملهم، والكل يهابه ويخشى سطوته، وعدوه مطأطئ الرأس أمامه. ويحثه الشاعر على استيلاء مصر والعيش فيها ولا بلد غيرها، بعد أن هجرها الشاعر إلى غير رجعة، وقد طَلَّقها ثلاثاً. ويخاطب الشاعر ممدوحه بكاف الخطاب في قوله (وعيشك) وإن عاب البعض مخاطبة الملوك بهذه الصيغة، إلا أن ابن الأثير لا يرى في هذا الخطاب عيباً في الشعر[1]، يقول الشاعر[2]:

وما نخشى على الاسلام بأساً إذا هلك الجميع وأنت باقٍ
أتصبرُ إن أتتكَ بحار خيلٍ وقدماً ما صبرت على السواقي
متى رفعت لك السودان رأساً وقد خلَّاهم مثل الزّقاق
وعيشك ما له من مِصرَ بُدٌّ ومن عندي ثلاثاً بالطلاق

وقد أجاد الشاعر في تشبيهه لممدوحه في الأبيات السابقة بعد الحديث عن عظم قوته وشجاعته، فالتمثيل كما يقول عبد القاهر الجرجاني: "إذا جاء في أعقاب المعاني ينقله من الصورة الأصلية إلى صورته" فيكون له وقع في النفوس ولا سيما المديح فيصير "أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهزّ للعِطف، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأسير على الألسن وأذكر"[3].

ويرى ابن الأثير أن المديح له ألفاظ خاصة، وهو يستحسن مخاطبة الممدوح بصيغة الاستفهام، لأن في هذه الصيغة من الخطاب" عليه مسحة من الجمال، بل عليه الجمال كله"[4]. ويكثر مثل هذا الأسلوب –الاستفهام– في شعر عرقلة، ومخاطبة الممدوحين كما لحظنا من قبل، ويُلحظ في مدحه للصالح بن رزيك قائد الغارات الشهيرة في مصر؛ وهو يهبّ لنصرة الإسلام والمسلمين في مصر يحمل الموت إلى عدوّه؛ ليصير بذلك سيف الإسلام، فهو يقول[5]:

لِمَن الخيلُ كلّ أرضٍ تجوبُ صَحِبتْها في كلِّ شِعْبٍ شَعوب
والجواري التي يضيق بها، البحر، على أنه فسيحٌ رحيب
غير سيف الاسلام خير فتىً عزَّ به دينُنا وذلَّ الصليب
ملك منه في الخطاب إذا شاء خطيبٌ وفي النزالِ خطوب

فالشاعر يصف ممدوحه، وقد امتطى صهوة الخيل تصحبه جحافل الجنود، وهم يجوبون البلاد الواسعة، يقتحمون الصعاب لا يهابون الموت، ويحملونه لأعدائهم وقد عزَّ الله الإسلام والمسلمين بالممدوح، وأذلّ الشرك والمشركين وقلبت الدائرة عليهم، فكان عليهم مثل الموت الذي يداهم دون سابق إنذار. وقد جمع ممدوح الشاعر بين الفصاحة في القول والشجاعة في النزال وقت الشدة. ويتلاعب الشاعر في ألفاظ البديع، من خلال المجانسة بين (الخطيب والخطوب)؛ ليكون لكلامه وقع وتأثير في نفس ممدوحه ومستمعيه.

وقد برع شعراء الجهاد في استعمال البديع، بحيث يأتي منسجماً مع المضمون، ويعمل على توضيح المعنى وتأكيده من خلال الجناس والطباق" إذ كانا من أكثر الألوان استخداما في شعر الجهاد"[6]. فالشاعر يبحث دائما عن الوسيلة الفنية التي يصوّر فيها الحدث؛ ليصل بها إلى الآخرين وتحدث أصداؤها في نفوسهم، ويضطر في ذلك إلى استعارة ألفاظ تتلاءم مع الحدث[7]. وأما ممدوح الشاعر مجير الدين أبق، فكان قتاله دفاعاً عن الإسلام ومن أجله، وقد أقبلت خيوله مشرعة على الأعداء، كجريان السيل في يوم

(1) ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر، م2، ص277.
(2) الكلبي، عرقلة: الديوان، ص69.
(3) الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة في علم البيان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (ب.ت)، ص93.
(4) ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر، م2، ص278.
(5) الكلبي، عرقلة: الديوان، ص9.
(6) الهرفي، محمد بن علي: شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، ص203، 207.
(7) إبراهيم، محمود: صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، ص196.

ماطر، لا تُبقى ولا تَذر من عدوّ صليبي يعترض طريقها، وأعاد الأمن والأمان للمسلمين ولديارهم، وغدوا في رغد من العيش وسعة تحت راية الإسلام وحكم الممدوح مجير الدين أبق الذي حكم وفق الشريعة المحمدية، حيث يقول[1]:

مَنْ قاتل الأفرنجَ ديناً غيرُهُ والخيلُ مثل السَّيْلِ عند المَشْهَدِ
ردّ الأمان بكلِّ نَدْبٍ باسلٍ ومن الجياد بكلِّ نهدٍ أجْرَدِ
حتى لوى الإسلام تحت لوائه وغَدّا بحمد من شريعة أحمدِ

ويقول في مقطوعة شعرية يتضح فيها الأثر الديني في ذكره لأسماء الله الحسنى، وقد انتهى الشرك، وهزم الصليب، مستلهماً التراث الثقافي، حين تتمثل شخصية أبي نواس في منادمته لصلاح الدين، ويجعل صلاح الدين في جوده وكرمه كالخصيب والي مصر، الذي عُرف أيضا بالجود والكرم، فهو يقول[2]:

الحمد لله السميع المجيبْ قد هَلكَ الشّركُ وضل الصليبْ
يا ساكني أكناف مصرٍ أنا أبو نواس والصلاحُ الخصيبْ

كان شعر المديح زمن الحروب الصليبية من أوسع فنون الشعر انتشاراً، فقد وصف الشعراء الممدوحين، وأعمالهم وترددت في أشعارهم معاني سابقيهم من الشعراء، وقد قلَّدوهم في تناولهم لصفات ممدوحيهم، وذلك للتشابه في المناسبات التي نظم فيها هذا الشعر، واتفاقهم في الهدف الذي نظم الشعر من أجله، وهو الجهاد في سبيل الله[3].

أسلوب الشاعر: امتاز أسلوب عرقلة في شعره" بالرقة المتناهية التي تقرّبه من النفس، وبالطلاوة التي يشعر بها الإنسان وهو يردد شعره"، وذلك لميل الشاعر للبعد عن التعقيد اللغوي، والاعتدال في استخدام الزخارف البديعية[4]. ولعل طبيعة الموضوع الذي نظم فيه الشاعر. تفرض عليه الأسلوب الذي ينتهجه في نظمه. فالألفاظ كما يقول ابن خلدون: « دالَّة على المعاني،... وكلّ معنى لا بدّ وأن تكتنفه أحوال تخصه» وتؤدي المقصود منها في جميع الأحوال[5]. تناول شعر المديح عند عرقلة الكلبي تمجيد البطل، وحثّه على مواصلة الجهاد، وتوحيد الأمة، والصراع الديني لرفع راية الإسلام، فهو شعر جهاد؛ لأنه يتناول أبطال الجهاد بمديحه.

وقد اتَّسم هذا الشعر بشكل عام – شعر الجهاد– بصدق العاطفة وحرارتها؛ لأنه جاء تعبيراً صادقا عن إحساس الشاعر اتجاه أحداث عصره، وواقعه المرير. كما اتسم بالبعد عن الألفاظ العامية، رغم شيوعها في هذا العصر–الأيوبي– لاختلاطهم بالعجم من الصليبيين[6]. وإن كنا نجد بعض الألفاظ العامية تتسرب إلى لغة الشاعر –عرقلة– ولكن في غير المديح، بل في أغراضه الأخرى ولا سيما شعر الفكاهة والسخرية.

وقد وُفِّق الشاعر في اختيار أوزانه التي تتلاءم مع موضوعات شعره التي اكسبت هذا الشعر جمالاً وقوة. فلكلّ "عاطفة معنى أو نغمة خاصة في الموسيقى والغناء، وهي أليق به، وأقدر على تعبيره؛ لأنها صوته الطبيعي، وصورته الحسّية الدقيقة"[7]. وقد أكثر الشاعر في شعر المديح من النظم على بحر البسيط، وهو بحرٌ يمتاز برقته وجزالته[8]. وعلى البحر السريع الذي يمتاز بعذوبته وسلاسته، وتمثيله للعواطف الفيّاضة[9]. كما وفق الشاعر في اختيار قوافيه في قصائده المدحية، فجاءت متناسقة مع موضوع القصيدة، مثل قافية الدال، والباء، واللام، والراء –كما سبق– وقد عدّ ابن جعفر هذه الحروف من الحروف الصالحة للروي[10].

(1) نفسه، ص26.
(2) الكلبي، عرقلة: الديوان، ص12.
(3) الهرفي، محمد بن علي: شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، ص76.
(4) باشا، عمر موسى: الدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، ص266.
(5) ابن خلدون، المقدمة، ص407.
(6) الهرفي، محمد بن علي: شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، ص196، 198.
(7) الشايب، أحمد : أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1973، ص322.
(8) ينظر: نفسه، ص322.
(9) نفسه: ص323.
(10) ينظر: ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، ص325-326.

الخاتمة

وبذا تكون صورة الممدوح عند الشاعر قد ارتسمت في هذا البحث، وبانت معالمها، وظهرت أركانها، وتعددت أسماء ممدوحيه، وهيئاتهم ومقاماتهم، فقد اتصل بآل أيوب، ملوك وأمراء، وأبطال حروب، وأجاد في مدحهم، ورسم بذلك صورة متكاملة للبطل المسلم، فهو كريم جواد، معطاء في السلم، ومقدام وشجاع، وذو بأس وقوة في الحرب. واستطاع الشاعر أن يُوفق في معانيه المدحية بين استلهام الماضي من الشعر القديم، وبين مقاييس عصره الأدبية، وما صاحبها من تجديد. ساعده على ذلك الإلمام الواسع بالموروث الثقافي والأدبي المتنوع كما اتضح لنا من خلال شعر الشاعر. ويلحظ أنه قد وظّف معظم إمكانات البلاغة العربية في تجويد صورة الممدوحين الذين حاول أن يرسمها لهم، واستكناه المعاني الدلالية. وتميّز أسلوب الشاعر بالرقة، والبعد عن التعقيد اللغوي، والاعتدال في استعمال المحسنات البديعية، وصدق العاطفة التي انبعثت من طبيعة الموضوع، وأحداث العصر. وبذلك، فلا أوافق الدكتور محمد زغلول سلام قوله في شاعرنا عرقلة:" وهو ليس ميّالاً للمديح، لا يكثر منه، كما أنه لا يجيده"[(1)].

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم، محمود: صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، دار البشير، عمان، ط2، 1988م.
2. الأتابكي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 64.
3. الأصفهاني، العماد: خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام، تحقيق د. شكري فيصل، المطبعة الهاشمية بدمشق، ط1، ج1، 1955م.
4. باشا، عمر موسى: الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1989.
5. بدوي، أحمد أحمد: الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر، القاهرة، ط2، (د.ت).
6. الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة في علم البيان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (ب.ت).
7. ابن جعفر، أبو الفرج قدامة: نقد الشعر، تحقيق عبد المنعم الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت. (نسخة إلكترونية)
8. ابن خلدون، المقدمة، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ب.ت.
9. الرافعي، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974م، ج3.
10. الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار المعارف للملايين، بيروت، ط14، 1999، ج2.
11. سلام، زعلول: الأدب في العصر الأيوبي، دار المعارف، القاهرة، (ب.ت).
12. أبو شامة، المقدسي: كتاب الروضتين، دار الجيل، بيروت، ج2.
13. الشايب، أحمد : أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1973.
14. الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، القاهرة، ط1، 1997م،ج2.
15. الصفدي، صلاح الدين خليل بن إيبك: الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، ج11، 2000م.
16. ضيف، شوقي: عصر الدول والإمارات –الشام– دار المعارف، القاهرة، ط4، 1990م.
17. ضيف، شوقي: في الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1962م.
18. عبد المهدي، عبد الجليل، بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية(492هـ–648هـ)، دار البشير، عمان، 11989م.
19. الحنبلي، ابن العماد، شذرات الذهب، دار الفكر، ج4.
20. الكتبي، محمد بن شاكر: فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ج1
21. الكلبي، عرقلة: حسان بن نمير، الديوان، دار صادر، بيروت، ط1، 1992م.

(1)سلام، محمد زغلول: الأدب في العصر الأيوبي، دار المعارف، مصر، القاهرة، (د.ت)، ص289.

22.محمد، سراج الدين، المديح في الشعر العربي، الراتب الجامعية، بيروت، سلاسل سوفنير، (نسخة إلكترونية).
23. موسى، إبراهيم: شعر الحرب في العصر الأيوبي، دار البيرق العربي، فلسطين، ط1، 2007م.
24. الهرفي، محمد بن علي بن أحمد: شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1980م.
25. يعقوب، إميل بديع: موسوعة أمثال العرب، ط1، بيروت، 1995م.